محمد سعيد الصغار

أيـــام عبد الحق البغدادي

منشورات

مكتبة الفكر الجديد

أيام عبد الحق البغدادي

مكتبة
الفكر
الجديد

منشورات

اسم المؤلف : محمد سعيد الصكار

عنوان الكتاب : أيام عبد الحق البغدادي

تاريخ الطبع : ١٩٩٥ - ١٠٠٠

التصميم : محمد سعيد الصكار

صف الحروف : مرسم الصكار - باريس

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ - ٧٣٦٦ - ٣٣٠٣٩

تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 - 7366 - 33039
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

مكتبة الفكر الجديد

محمد سعيد الصكار

أيام عبد الحق البغدادي

أشعار ونصوص أدبية

(١٩٧٨ - ١٩٩٠)

منشورات دار المدى
دمشق ١٩٩٤

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

عبد الحق البغدادي رجل في عمري ، أبدعه الذهن ، وعَرَكَتْه التجارب ، وصَقَلتْه المعرفة ، وذهب به حبُّ الحكمة مذاهبَ شتّى .

ولم أكن حين لمع في الخاطر ، أعلم ما ستؤول إليه صداقتنا . فاذا بنا صِنوانِ أضعفهما أنا ، ورفيقان أشجعُهما هو ، وشخصان لهما في الحياة مذهب واحد ، وفي الزمان مذهبان .

ففي حين كنت شديدَ العناية بزمان اللغة ، كان هو يتربع على حصيرة الزمان ، ويطلق لنفسه العنان ، فيتحدث باللغة التي يحب ، سواء أكانت لغةَ الجاحظ أم المعرّي ، أم ابي حيان أم سعدي يوسف ، أم حكايات ألف ليلة وليلة .

وكان الى جانب حياته في الزمان المطلق ، ذا معرفة بأساليب الكتاب والشعراء العرب في مختلف العصور . وكان صديقاً لكثيرٍ منهم ؛ يحاورهم ويراسلهم ، ولا يتلقى منهم جواباً ، ولم يكن همُّه في الجواب .

مكتبة الفكر الجديد

ولكونه أشجعَ مني ، كنتُ ألوذُ به في كثير من الأحيان ، حين تعزُّ قَولةُ الحق ، ويتلجلج اللسان في نطقها . وكنت أراه - حين تنغلق الدروب ، وتتعذر الرؤية ، ويختلط الخيط الأبيض بالخيط الأسود ، وتصل النفس الى الحلقوم - واضحاً ، صافياً ، صريحاً ، لا يُعكّر نقاءه شيء ، ولا يثني حقَّه باطل . فله من القدرات ما ليس لي منه الآ في الخيال .

وها نحن منذ اثني عشر عاماً ، صديقان حميمان . لنا مبدأٌ واحد ، ورؤيةٌ واحدة ، وعمر واحد ، ومحنة واحدة . ولكلٍّ منّا أسلوبه في التعبير ، وقدراته الزمنية المختلفة .

محمد سعيد الصكار

مكتبة الفكر الجديد

الأسبوع السابع
من أيام عبد الحق البغدادي

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

الذكـــرى

قالوا :
«لو أبقـى عـبد الحـق لنا شـيئاً من تاريخ دَوَنـه ،
صفحـتَه الاولى ،
شـيئاً من آخـره ،
شـيئاً للذكـرى» .
قال :
«فأوّلُ ما دوّنـتُ ،
مقـدّمةٌ تختصـر العـمرَ ،
وآخـره فهرسـتُ حـياتي ؛
وأنا في أيّ الأثنـين
أناول مفـتاح الأسـرار ؛
فأيّـةُ ذكـرى غـير المـوت ،
بدون مقـدّمة ،
وبلا فهـرست» .

مكتبة الفكر الجديد

غـــــربـة

عـبد الحـق يقـوم خطـيباً !

(من ألقـــي باسـمك يا مجـنون ،
وأغـراك بأن تخطـب في حشـد القصـابين) ؟!

طـاروا فـرحاً ،
وامتشـقوا المديات ،
وهـزّوها إعجـاباً !
وإذْ انتهـت الخـطبة ،
قال حكـيمٌ منـهم :
«من أعـراف القصـابين
أن تُطـعمَ مُـذيتُـهم شـيناً

مكتبة الفكر الجديد

إن غادرَت الغِـمد ،
ومن مُثُـل القصـابين ،
ألاّ يقـتلَ قصـابٌ قصـاباً » .

أفتسـمعُ يا عـبدَ الحـق ؟!

مكتبة
الفكر
الجديد

خـــــــوف

عـندما أُنـزِلَ عـبدُ الحـق من ناقـته ،
راحـت مصـابيحُ الظنـون
تتقـرّاه :
« أهـذي الاصـبعَ البارزةَ العـظم تَوَقّـينا ؛
أهـذا السـاعدَ الناحـلَ خفـنا ؟
أنت عـبد الحـق ،
أنت الـ . . . . . ؟ » .

قال مهـموماً :
« أنا العـبدُ ،
وما خفـتم سوى سـيدي المصلوبِ باسـمي »!

مكتبة الفكر الجديد

أمـــــتعة

وصِـيحَ بهـــم :
« خففوا من محاملكـــم حـين تأتون مكـهَ » !
خَفّـتْ محاملهـم ؛
صـار سِـقْطُ المتـاع تلولا .
ولكنه وحـدَه
ظلَّ يحـمل أمتـعةً أثقـلته ؛
طفـولتَه ،
وصـباه ،
وأيّـامَ بستانه ؛
كيف يتركـها نُهـبةً للرمال ؟!

وصـيح به :
« وَيْـكَ خفّفْ » !
فما اسـطاع .

مكتبة الفكر الجديد

كان ثقـيلَ الخُـطى ؛
دحرجـوه عن الســرج ،
وانصــرفوا .

ظلَّ في الرمـــل ،
ضغـضـعه التعــب المُــرُّ ،
لفَّ عبــاءته ،
وتوسَّــد أمتــعةً أثقــلته ،
ونام .

مكتبة
الفكر
الجديد

مغـــالطة

قال عــبد الحـق :
«ما مِن لوعــةٍ تبــقى مـــدى العـمرِ» !
ولكــن ،
من تُــرى خــوَّل عــبدَ الحــق أن يهـــذي ،
وهـــذا العــمر يمضـــي
ماســحاً كلَّ تقاطــيع المســافات ،
ســوى مملكــةِ اللوعــةِ ؛

من يُســكِتُ هـــذا الهَـــذَيان !

مكتبة الفكر الجديد

البـــــــاب

راح مثــلَ النـــاس في قــافلة الســيّاح ،
لم يبهـــره ما شـــاف ،
ولكن طاف مثــلَ النـــاس .

قالــوا :
«ذلك البـــاب الذي نُبصــرهُ الســـاعةَ
بابُ ذهـــبُ صِـــرف ،
قضـــى خمســـون فـــناناً
بـه خمســـين عاماً
يرسمـــون الحـــبَّ والبهـــجةَ والفتـــنةَ ؛
هـــل أعجـــبكمْ» ؟

مات من الغـــمّ ، وصـــاح :
«إنّـــه بابُ ،

مكتبة الفكر الجديد

وقـد أُغــلق طولَ الوقــت ،
لم يُفــــتحْ على شــــيءٍ ؛
فأين الحــــبُّ والبهــــجةُ ،

في البــــــاب » ؟!

مكتبة الفكر الجديد

تـطـــفّـل

هـــربَ الليـــــلُ ،
(رو دو پروڤنصْ) * مـملوءٌ بما يكـتب عبـد الحـق ؛
مأخـوذٌ بهـذا الليـل عبـــدُ الحـق .

«يا ابنَ الكلب ،
يا عـــبدُ ،
أما تخـجل أن تُشـغلَ من ضـيَّفكَ الليلةَ ؛
عُـدْ للنـــوم» !

عـــاد العـــبدُ ؛
لم يغْـفُ ،
ولا نام (رو دو پـروڤنصْ) ،

مكتبة الفكر الجديد

لكنَّ الذي جَلْجَلَ في منتصف الليلةِ
نام !

* Rue de Provence الشارع الذي نزل فيه عبد الحق بباريس .

مكتبة الفكر الجديد

الجـــــــرح

دخـــلَ الجُـــرحُ ، ولم يخـــرجْ !

هَتَـــفْنا :
«ايُّهـــا الجـــرحُ الخـــرافيُّ
تَرَجَّـــــلْ واســـــتدرْ
فالشـــعراءُ
ســـوف يبقون بلا جـــرحٍ ،
ويغـدو البعد بين الشعر والنثر هباءْ» !

قال : لا !
ثمَّ تمـــادى .

«يا أخـــي ،
يا أيُّـــها الجـــرح ،

مكتبة الفكر الجديد

متى تـدرك أن الشـــعراء
لن يعيشـــوا دونما جـــرحٍ» ؟

رأينا الجـــرح لا يلوي على شـــيءٍ ،
ويمضـــي .

أيكون الجـــرحُ غضـــبان
فلم يَحـــفل بلغـــوِ الشـــعراء ؟!

مكتبة الفكر الجديد

معـــــــادلة

مَسَـــحَ الفرشـــاةَ .
لم يبـــقَ من الألـــوان ما يحـــمل هـــمَّ الأرض ؛
أبـــقى اللوحـــة الخرســـاءَ
تبـــكي حزنـــها الدائـــمَ .

قُلْ لي :
من يؤاســـى الآنَ ؛
فنانٌ بلا لـــونٍ ،
أم الحـــزنُ الذي حوصـــرَ
في صـــمت القـــماش ؟!

مكتبة الفكر الجديد

رغـــــبة

- أتحـبُّ اللونَ البُـــنّيَّ ،
أم اللونَ الأزرق ؟
فالغـــــرفةُ نفسُ الغـــرفةِ ،
والأســـعارُ هي الأســـعار .

- ســـيدتي ؛
لونُ الغِـــزْيَـن في دجلةَ بُـــنّيٌّ ،
وأنا بُـــنّيُّ الأحـــــزانْ ،
وكذاك الأســـطحُ في باريسَ ،
ولونُ الخـــبز الافرنســـــيّ ،
وكلُّ محـــيط الشـــعراءْ .

ســـيدتي
هل يمـــكن أن أطلبَ لوناً أزرقْ ؟

- يمـــكن !

- الـــلـــــه . . . . . .

ما أرحَـــــبَ باريس !

مكتبة
الفكر
الجديد

سـرقـة

ويسـأله المفوّضُ مستخفّاً :
- كيف تفـقد صوتَك الذهـبيَّ ؟
- لم أفقـده ،
بل سـرقوه مـنّي!

« يضحك الشـرطي ،
يدخل في الحوار مُحَـرضاً :
- سـرقوه ،
وهو الآنَ يحـكي !
سـيدي ؛
يتكلم العربية الفصحى ،
ويزعـمُ
. . . . . » .

مكتبة الفكر الجديد

قال عـــبد الحـــق :

- هـــذا صـــوت جاري .

اذْ تعـوّدَ أن يظنَّ الصمتَ من ذهبٍ ،

فلم يفتـــحْ فماً ،

فأعارنـــيه لأُبلغَ الشـــكوى .

- وماذا بعـــد ؟

- ماذا بعـد !

صـــوتي ؛

أبتـــغي اســـترجاعَ صـــوتي .

- ايُّها المنكـــود ،

نحن نســجّل الشكوى لمن سُـرقوا مـتاعاً

يُستدلُّ عليه .

لم تُسـرَقْ سوى شيءٍ خرافيٍّ ؛

فأنّ الناس تُسـرَق عادةً نعلاً ،

ومنشفةً ، وأموالاً ؛

أتحسبُ . . . . . .

مكتبة الفكر الجديد

أيُـهـا الشـــرطيُ
خُـــذه بتهـــمة التـــبليغ زوراً ؛
إنّـــه يتـكلم العـــربيةَ الفصـــحى ،
ويـزعـــــم . . . . . !!

مكتبة
الفكر
الجديد

الأســـــــئلة

طافَ بي في مُـدُنِ الدنـــيا ،
وألقاني أســـيرَ الأســـئله .
وكما كـــنت أرى الآثارَ
والســـيّاحَ ،
صـــرتُ الآن تاريـــخاً ،
وبُرجاً أثريـاً ،
يقتـــني الســـياحُ تصـــويري ،
ويهـــذون على ظهـــري ،
وقـــد يســـتهزئون ؛
مثلما كنت أنا أهـــزأُ بالبـــرج ،
وأُلقـــي عشـــرات الأســـئله .

مكتبة الفكر الجديد

تأمّلات

عبد الحق البغدادي

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

يأخـــذني الحـــلم ،
ونســـير معـــاً .
عنـــدما أعثـــرُ يبتســـم ،
وعنـــدما يعـــثر أبكـــي .

□

ســـرتُ على رصـــيفٍ ممطـــور
فزلّت قـــدمي .
قلتُ :
ما أصـــعب الزللَ !
قال الرصـــيف :
ما أصـــعب التوازن !

□

مكتبة الفكر الجديد

حـــتى عـــندما تكون الشـــمس عمـــوديةً
في الســـماء ،
أرى ظـــلاً يتـــبعني .

□

بعض الغضـــون في يـــدي
تذكّـــرني بأبي ؛
ولكنها لا تعصـــمني من الزلل .

□

لهـــفة التســـاؤل
وحـــدَها
تمنحـــني الأحســـاس بالحضـــور .

□

مكتبة
الفكر
الجديد

فتحـــتُ نافـــذةً على صـــمتي
فتورمتْ حنـــجرتي
قبل أنْ أنطـــقْ .

□

الى أيـــن تنـــوي الذهـــاب ؟
كلُّ الطـــرق مفـــتوحةٌ ،
وهـــذا فَـــخُّ الضـــياع .

□

عـــندما أنام
تســـتيقظ فيَّ رغبـــتان :
رغـــبة الكـــلام ،
ورغـــبة الفـــرح .

□

مكتبة الفكر الجديد

الحقـــقية لا تمـــوت
ولكنـــــها قـد تُدفَـــــن .
وبعـــض الحقـــائق المدفـــونة
لا يُحشـــــر حتّـــى في يوم القـــيامة .

□

عـــــند منتـــصف المســـــافة
يســـــتيقظ هاجس التلفّـــت الى الـوراء .

□

أنتـــمي الى عصـــورٍ مخـــــتلفة ؛
ولكن وهـــمي الأكـــــبر
هو ظـــني بأنني أســـتطيع التجـــرد منـــها .

□

مكتبة
الفكر
الجديد

أشـــرف ما ابـــتدع الأنســـان
الورق !
وأخـــبث أنواع الورق
جوازات الســـفر .

□

في بســـتان الذاكـــرة
كانت دائماً هـــناك جـــدران ؛
تتَّســـع
وتضـــيق ؛
دائـــماً جـــدران .

□

كلما ابتـــعدتْ بي الطـــريق
انشددتُ الى نقـــطة البداية .

□

مكتبة الفكر الجديد

سألوني :
لماذا اختصـــرتَ الحـــروف ؟
قلتُ :
لعـــلني أُقللُ فوضـــى الكلمات .

□

نحن نســـافر بلا بطاقات ،
الى مـــدنٍ خـــارج الخـــارطة ؛
فلماذا يسألنا المفـتش عن الزمـان والمكان ،
ويُغَـــرّمنا الثمـــن ؟

□

حـــبري أســـود
فلا تطلبوا مني أن أرسم قوسَ قُزح !

□

مكتبة الفكر الجديد

الحياة بلا أســرار
تلغي لــذة الاكتشـــاف .

□

الكلمات
ليســت بحاجة الى حـــرانق
لكي تشـــتعل .

□

أنْ تتوازنَ على حبل الســـيرك ،
يعني أنّكَ تبحـــث عن يقـــينٍ
لا وجودَ له .

□

مكتبة
الفكر
الجديد

لا تذهبْ بعـــيداً
فإن السهم لن يجـدَ طريقـه إليك !

□

يبدأ الخط عندما يجري الدم في القلم ،
وتستحيل القصبة إلى إصبع سادسة .

□

في الحرب ؛
تتوهج ألوان في الزمان ،
وتنطفيء ألوانٌ في الروح .

□

مكتبة
الفكر
الجديد

ما وعته الذاكرة
من أخبار عبد الحق البغدادي
وصاحبه أبي علي بن الصباغ
قبل الهجرة المباركة

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

قطـــــيعـة

سُـــــئل عـــبد الحق يوماً :

«ما تقـــول في بُعـــدك عن الوزيـــــر» ؟

قال :

«أ حمـــد الله الذي نـقّـــى الأصحاب ،

وقطـع الأســـباب ،

وخـــتمَ الأبـــواب» !

مكتبة الفكر الجديد

مســـــــــتويات

قـــــيل لعـــبد الحق :
كـــيف تنظـــــر الى الأعـــــلى ؟
قال : من أســـــفل .
قيل : و الى الأســـــفل ؟
قال : من فوق رؤوســـــكم .

مكتبة الفكر الجديد

عصـــــفور

قيل لأبي هـاني عـبد الرحمـــن الكاتب ، وكـان رجـلاً حصـيفاً من باديـــة نجـد :

« هـــل لك أن تـدُلّنا على رجـــل لا ينـام الآ اســتعداداً للنهـوض ، و لا يطـمئن الآ تَحَسُّـباً للقلق ، ولا يهـــمُّ بعـــمل شـــيءٍ إلآ توقـعاً لما هو أرزأ منـه . فـهـو يقـــظٌ أبـداً ، قـلقٌ أبـــداً ، متوجّسٌ كالعصـفور » ؟

قال :

« دونكـــم عـبد الحق البغـــدادي » !

مكتبة الفكر الجديد

ليـــــــــلة

قيـــل لعـــبد الحق :
كـــيف كانت ليـــلتك عـــند الوزيـــــر ؟
قـــــال :
أوّلهـــــا قلق ،
وأوســـــــطها أرق ،
وآخـــرها فَـــرَق !

مكتبة
الفكر
الجديد

مسـافة

سـأل الوزيـر الموصـلي عـبدَ الحق ، وكـان في مجلسـه :

ما الفـرق ما بـين الفَرْسَـخ والشِّـبر ؟

قـال :

الفـرسـخ ، مـسافـةُ مـا بيـني وبين الوزيـر ، والشـبر مسـافة ما بـين قولك «نعـم» وقـولك «لا» .

فضـحك الوزيـر ولم يفـطن !

مكتبة الفكر الجديد

صـــــــياد

قـــيل لأبي علي بن الصـــــباغ :

قد كـــــنتَ على معـــرفةٍ بالوزيـــر ؛ وهـو على ما عـــهـــدتَ ، يُكثـــر من حـديث الصـيـد ، ووفـــرة حظـــه فـيـه ؛ ومـا عـــرفناه الآ صـــيـاداً خـائـبـاً . فأخـــبرنا بالله ، بمَ كان يصـيد ؟

قـــــال : بالكلمـــــات .

مكتبة الفكر الجديد

تـداخـــك

قـيل لابن الصـــباغ :
«ايُّما أ حَـــبُّ إليـك ؛
أن تمـوت في الحـرب ،
أم تمـوتَ حـــتفَ أنفـــك» ؟
قـال :
«أن أمـوتَ حـــيّاً» .

وقيـــل لعـبد الحق البغـــدادي :
«لو خُـيّرتَ بأن تُسـرَقَ كلَّ شـيءٍ ، الاّ شـيئاً واحداً ، فماذا كنت تختـار» ؟
قـال :
صـــوتي !

قال المؤلف غفـر الله لهما وله :

فتأمل ايُها البصير ، تأثير الزمن ، وآثاره على الناس ؛ فقد قال ابن الصباغ ما قال ، وهو في نهاية الصيف ، وقال عبد الحق ما قال ، وهو في بداية الخريف ؛ وبين الأول والثاني خمسة آلاف فرسخ ! *

* يلاحظ هنا تداخل الأصوات الثلاثة التي هي في الأصل صوت الشاعر نفسه ، في زمن واحد وفي حالات نفسية مختلفة مع اختلاف المكان بين بغداد وباريس .

مكتبة الفكر الجديد

مـــــوت

قيــل لعــبد الحق :
بلغـــنا أن فلانـــاً قد مات .
أفتظـــنه مات موتَ الله ، أم قتـلته الحـكومة ؟
قــال :
مـــوتَ الله ؛ إنّمـا بأمـــر الحـكومة !

مكتبة الفكر الجديد

ما تبـــــقّى !

قال المؤلف :

وقعَـــــتْ في يــدي أبيـات لأبي علي بن الصـباغ ، قالها في صـديقه عـبد الحق البغـدادي ؛ وما أظــنها الآ من قصـــيدة طــويلة لم أقـف على جملتـــها :

تمكّـــن من افــكاره ما يخــافه
وأغـــمَلَ في أعصــابه ما يحــاذرُ
وما في مـداه مأمــلٌ يســتثيره
ولا رغـــبةٌ تجـــتاحه فيـــغامرُ
وقد كان عبد الحق إذ كان يافعاً
خلـيّاً على ما في يـــديه يقــامرُ
ولكــنه شـــدَّ الرحال وقـــلبه
على أعيــن ترنــو له وتصـــابرُ
فيا ليلَ عبدِ الحق لا تدْنُ وارتحلْ
ويا جـرح عبد الحق دعْه يكابـرُ

مكتبة الفكر الجديد

كوابيس

عبد الحق البغـــــدادي

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

محـــنة شهـــرزاد

. . . . وكـان من حظ شـهـرزاد ، أن يتـبـدلَ الزمـان ، ويدورَ الفلك ، فـيـقـصـرَ الليـل ، ويطولَ النهـار . حتى أنها ما كانت تهـمُّ بالكلام المباح ، الاّ وألجمها الصباح . فماتت غمّاً في الشـهر الأخـير من القـرن الرابع عـشـر الهـجـري ودُفـنت في بطون الكتب .

وقد اختلف الرواة والمؤرخـون ، وذوو اللجاجة في أسباب موتها . فقالوا إنها امرأة غريبة ، كانت تعيش بالكلام وللكلام ، فاذْ فاتها ذلك ، قتلها الغمّ .
والمرجّح أنهـا مـاتت بمـرض الكآبة الذي كـان متفشـياً ببغداد في ذلك الوقت .

رحمـها الله ، ونفعنا بمناقـبها .

مكتبة الفكر الجديد

قال الـــــــراوي

. . . . وأمّا ما كان من أمر شهريار ، فإنه في الليلة التي عزم فيها على هجر الملك ، والتنسُّك في البراري ، رأى في منامه طائفاً يقول :

«ايُّها الملك السعيد ، إنك إنْ تغادرْ مكانَك ، فلن تغادرَ هوانَك ؛ وإنْ تهربْ من أمسِك ، فلا مهربَ من نفسك ؛ وأنت بينَ بينْ ، تموت مرّتين» .

فانتفض شهريار من نومه مرعوباً ، وأخذته الحُمّى ، وركبه ندمٌ أتلف نفسه ، فلم يدركه الصباح ، ومات من ساعته . ولم يجد القوم مكاناً في (ساحة التحرير) يدفنونه فيه ، فدفنوه في مبنى الارشيف الوطني ببغداد . وما زال هناك الى اليوم ، تحت باب :

(النادمون في التاريخ)

مكتبة الفكر الجديد

قواعد الملك

قال عبد الحق : كنتُ بين اليقظة والمنام ، بعد عناء يوم طويل ، حين سمعتُ صوتاً أشبهَ بصوت ملك الملوك ، يخطب في رِهطه :

« ايُّها الناس ؛

من كان منكم على مقربةٍ من متاعٍ فلينتفعْ به ، أوشأنٍ فليُطْلِقْ يده فيه ، أو فرصةٍ فليغتنمها ؛ فإنه لا أمان للزمان إذا عادى ، ولا عودة للسلطان إذا ولّى ، ولا طاقة على الهوان إذا عاد .

ايُّها الناس ؛

الدنيا بيعٌ وشراء ، وأخْذٌ وعطاء ، فلا تسوموا باهظاً بما ملكتم ؛ فقد كنتم سُوقةً فشرفتم ، وكنتم مَملاً فسُدتم ، فلا تأمنوا غائلة الأيام ، وعطبَ الصحبة ، وغضبَ الرعيّة . ولكُم في أميركم أُسوة » !

قال عبد الحق :

فنَفَرَ النوم عن عيني الى صلاة الفجر !

مكتبة الفكر الجديد

دعاء عبد الحق البغدادي في ليلة القدر

اللهم نحمدك على نعمائك ، ونشكرك على آلائك ، ونسألك إدامةَ المِنَة ، وإزالةَ المحنة .

اللهم لا تجعلنا نحملك في جيوبنا ، وننساك الى وقت الحاجة .

اللهم نسألك أن تنزع من قلوبنا فضيلة الصبر الذي يدعوننا اليه وهم مستعجلون .

اللهم لا تحشرنا مع عبادك الصالحين الذين طمعوا في الجنّة ونسوا محنة الأرض .

اللهم اختم على أبصارنا فلا نرى فضائح أهلنا في نوادي القمار ؛ وعلى سَمْعِنا ساعةَ يتبادل زعماؤنا الاتّهامات ، وكلهم صادق .

اللهم لا تجعل بلادَنا كجبنة القرد ، يقضم منها كلما رجحت في الميزان .

مكتبة الفكر الجديد

اللهم سَيِّر من كَرَمك غمامةً تحمي اطفال الحجارة ، واغفر لهم هذه الشطحة التي أحرجَتْ بعض أهلنا .

اللهم لا تجعلنا على دين ملوكنا ، فلا طاقةَ لنا على سهر الليل ، وضجر النهار .

اللهم لا تُخزِ سياسيينا أكثر مما فعلت ، فهم من خلقك على اية حال .

اللهم امنح صحفيينا الصبرَ على ما فاتهم من حقائق ، واقلب عيونهم ظهراً لبطن ، ليَرَوا الأحداث الكبيرة ، ويريحونا من الصغائر .

اللهم لا تحاسب جارَنا على الوشاية بنا ، فهو أمر مألوف في بلادنا هذه الأيام .

اللهم سامحنا على لغونا حين نقول مع القائلين : « الحق يعلو ولا يُعلى عليه » .

اللهم ألْهِمنا صوتاً نقول فيه للغربيين : « إرفعوا ايديكم عن حقوق الانسان » .

اللهم ذكّرْ المستشرقين بحرمة العلم ، ومُرْهُمْ بألاّ يغرقوا بلادنا بأنصاف المتعلمين .

اللهم احسب للناشرين أجرَهم ؛ فالتسعون بالمئة التي يتقاضونها من الكتّاب لا تكفي راتباً لحرّاس عماراتهم .

اللهم لا تخذل نقدَنا كما خذلت نقّادنا ، وألْهِمْ شيوخَنا الصبرَ على نزوات الشباب ، وذكّرهم بنزواتهم .

اللهم اجعل لشعرائنا شيناً يلهون به غيرَ أعصاب الناس ، وطوّلْ بالَهم في الوقوف على باب السلطان ، ولا تحشرهم مع أبي العلاء لئلا تخزيهم مرتين .

اللهم سامح ادباءنا على جهلهم بأن (باء الاستبدال) تلحق المتروك ؛ فهم يقولون : «استبدل المجلةَ بالكتاب» لمن ترك المجلة ، والعكس هو الصحيح

اللهم افتح عيوننا على معنى (التراث) ودلالة (الحداثة) ، فقد قامت قيامتنا قبل أن يُنفَخَ في الصُّور .

اللهم أنزِلْ علينا قاموساً يفسّر لنا : القومية والقوموية والقومانية ، والتاريخية

مكتبة الفكر الجديد

والتاريخانية والتاريخوية ، والكرضوية والاجتصادية والعربسة والكَلْتَرة ، وغيرها من (مستلزمات الحداثة) .

اللهم هيِّئ لنا مخرجاً من محنة الهمزة ، فقد أدمت قلوبنا كثرة أشكالها ، وتَقَلَّبُ حالها .

اللهم ألْهِم رسامينا شيناً يشغلهم ، فقد قتلتهم اللوحة الحروفية .

واحمِنا اللهم من شرّ التأويل والتمويل ؛ وارحمنا برحمتك يا ارحم الراحمين .

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

مراســـــلات

عبــد الحق البـــغدادي

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

بطـــــاقة
الى مالك بن الرّيب

ألا ليتَ شعري هل ببغدادَ نخلةٌ
تجيبُ اذا أعيا المجيبَ ندائيا
فقد غاب أصحابي وأوحَشَنى السُّرى
وضعضع آمالي اغترابٌ نبا بيا
أُقَلّبُ طرفي في الجرائد عَلّني
أرى ألقاً من فجر بغدادَ آتيا
إنِ اللهُ يُرْجِعني لبغدادَ أرتمي
على تُربها أستافُ فيه شبابيا
لَعَمري لئنْ طالت بباريسَ غُربتي
وآنستُ فيها كلَّ ما كنتُ هاويا
لأعْلمُ أنّي في العراقِ مُضَيَّعٌ
ومُغْتبِطٌ أنْ للعراقِ مآليا

مكتبة الفكر الجديد

بطـــاقة
الى ابي العــلاء المعـري

تقــادَمَ العــهدُ والأقـــوامُ ما برِحـــوا
يســـوقهم لليَباب السَّـــعيُ والضَّـــنَكُ
وهم كعـــهدك ، إذْ تصـفو معـادنُـهم
فَخَـــيْرُها بيـــن ما تحـــظى به تَـــنَكُ

مكتبة الفكر الجديد

بطـــــاقة
الى ابي الطـيّب المتـــنبّي

أعِـــدْ نظـــراً بما أبقـــيتَ فيـــنا
من الغـــررِ المُحَـــجّلةِ المعـــاني
فَلَسْـــنا أهـــلَها ، وكفـــاكَ مـــنّا
منيّ في أن «نسـيرَ الى الطـعانِ»
وطِبْ نفْســـاً بأنّـــك من زمـــانٍ
رحـــيمٍ كان آخـــرةَ الزمـــانِ

بطـــــــاقة
الى ابي بكر بن العـــلاّف (*)

يا مَنْ بكى فَقْـدَ هِـــرّهِ جَـزَعاً
نحـــن فَقَـدْنا كواكبَ البَـــلَدِ
لا أهلُـنا كوفـنوا بِطيـــبتِـهم
ولا رُبـــانا عَـــزَّتْ على أَحَـدِ
وحَسْـــبُنا أنتـــنا ذوو مُـــثُلٍ
اذا ابتُـــليناً مَتْـــنا من الجَـــلَدِ

(*) ابو بكر الحسن بن على بن العلاف ، شاعر ضرير توفي عام ٣١٨ هـ . اشتهر برثية هره التي يقول فيها :
يا هـــرّ فارقتـــنا ولم تعُـدِ وكنتَ فيـــنا بمنـــزل الولدِ

مكتبة الفكر الجديد

بطـــــــاقة
الى الجواهــري

أبا الفــراتينِ ، هـــل كانت مكابَـــرةً
ألاّ نصـــدّقَ أنّ الدهـــرَ أقـــدارُ
وهلْ تَجـاوَزَ قَــدْرَ النــفْسِ ذو ثــقَةٍ
مِنّا ، وهـل خَفَّ في الميـزانِ معـيارُ
أم المُـــروءةُ أغْـــوَتْنا ، فغـــالَطَنا
على المُـــروءةِ قَـــوّالونَ تُجّـــارُ
حتّى غدا الليلُ قبراً ، والصباحُ دماً
وضاعَ في غَمَـراتِ المَـوْجِ بَحّـارُ

مكتبة الفكر الجديد

رســـــــالة
الى الجـــاحظ

ايُهاالشيخُ الجليل ؛

حيّاك الله ، وأفاءَ عليك من نعمته ، ووطَّنَ نفسك عل الصمت ، وجنَّبك مشقَّةَ الذكرى ، وصرف عنك الحنينَ الى الوطن ، وعوَّضك عن التبصُّر بأمور البشر ، وأحوال المخلوقات ، بالحور العِين ، والكواعب الأتراب .

ونسأله أن يهدِيَنا الى سبيلك ، ويُسبلَ علينا من فَيضك ، ويمنحَنا لذَّةَ المروءة ، وفضيلةَ الصبر ، وكرامةَ التّواضع ، وعزّةَ النفس ؛ ويسعفَنا على قَوْلة الحقّ بدون مُحَسّناتٍ بديعية ، وتورياتٍ بلاغية ، وشفراتٍ سريّة . فوالله إنّك لتضيع في ما نكتب ضياعَ الناقة في

مكتبة الفكر الجديد

الربع الخالي ، أو ضياعَ الحقيقة في مجالس النواب . فما أبقى لنا زماننا غيرَ كلمات ألِفناها حتى مللناها ، ولكْناها حتى مججناها . هذا على فهاهة في الفظ ، وركاكة في المعنى ، وقِلّةٍ في الجدوى . ونحن ننفخها كلَّ يوم حتي تورَّمتْ ، وضاعت ملامحها ، ونصلت ألوانها ، وتمَوَّهَ شكلها ، وبارت حتى في سوق (اللنكات) * .

وما عاد في ظهرانينا من نحمد لهم بلاغة القول ، على سلامة الطَوِيَّة ، وحُسْن التوسل ، غبرُ رجل من قومنا في بادية الشام ، يُدعى (غوّار الطوشة) . ونحن نسأل الله أن يُرمِدَ دونه العيون فلا تناله بسوء ، الى أن يقضيَ الله أمراً كان مفعولاً من زمان ، وتأخّر لحكمة إلهيّة .

والسلام .

(*) اللنكات ، جمع لَنْكة ، وهي حزمة الملابس المستعملة التي تستورد أوربا ، وسوق اللنكات هي سوق الملابس المستعملة ، وتضرب مثلاً في قلة القيمة .

مكتبة الفكر الجديد

رســـــــــالة
الى ابي حيّان التوحيدي

(الليلة الحادية والأربعون من الإمتاع والمؤانسة)

جرى بيننا ليلةَ البارحة ذِكرُ النّفس وما تتأثر به من ناحية العقل بالخَيْرة ، ومن ناحية الجسد بالإنهاك ، ومن ناحية الأفكار بالقمع ، ومن ناحية الطموح بالمحاصرة ، ومن ناحية الكفاءات بالهجرة ؛ وما يتركه ذلك وسواه على طبيعة الإنسان وسلوكه ، وعلاقاته بالناس والطبيعة . فطال بنا الحديث وتشعّب ، وشرّق بنا وغرّب ، فما أغنى عن شيءٍ ، ولا أنقذ من حَيْرة . فطلب اليَ المؤلف – أعزّه الله – أن أدليَ بدلويَ بين الدّلاء ، فقلت :

إن شيخنا أبا علي بن الصبّاغ ، قال :
إذا كان الموجودُ بالفعلِ غيرَ المرغوبِ بالأمكان ،

مكتبة الفكر الجديد

والقائمُ بالقُوّةَ غيرَ المطلوبِ بالضرورة ، تخلخَلَ مسارُ النّفْس ، واضطربَ إيقاعُها ، واختَلَّ التوازنُ الذي هو شرطُ حركتها في المحيط الذي به تتجَوْهر ، وعلى أساسه تتَّسِق وإليه تنحو . فتراها حينذاك تبحث عن حَيَزٍ تلْتَمُّ فيه ، وزاوية تَرْتَكِنُ إليها ، ونبْعٍ ترتوي منه ؛ فإنْ وجَدَتْ أنِسَتْ وطابت ، وسَلُسَتْ واستقرّتْ ، وصَفَتْ طبيعتُها ، واسترخى عنانُها ، ولان قيادُها ؛ وإن لم تجِدْ ، خَرَجَتْ من المحسوسِ الى المعقول ، ومِنَ الحَيّزِ الى المطلق ، ومن الواقع الى الخيال ، ومن بغدادَ الى باريس ، وهَلُمَّجَرّا .

وتكون قوّة نزوعها الى الانفلات على قدْر إحساسها بالحصار . فإنَّ النفْسَ إذا حوصِرَت بالمشاكل ، وأُثقِلَتْ بالأعباء ، واحتقَنتْ بالمرارة ، واختنقَتْ باللوعة ، خرجَتْ على الكينونة الطبيعية ، وتجاوزَتْ القدرة البشرية ، ولم تنفع معها طاقة الاحتمال ، وجدوى المعرفة ، وتأصُّل اليقين ، ورسوخ العقيدة . فهذه كلّها لا تُسعِفُ ، مجتمعةً ، تلك النفس

بالخلاص ، ولا تمنحُها الأمنَ والسلام .
وهنا العــذابُ الأكبر ، والجحيمُ الدُّنْيَوِيُّ ، واللوعةُ التي ما بعــــدَها لوعــة ، والوحشةُ التي لا تغـدِلُها وحشة ، ولا عاصمَ من نتائجها الاّ الله .

قال المؤلّفُ – أيَّـده الله بحسـن توفيقه – هذا والله مبـحثٌ بعـيـدُ المَرمى ، عـمـيقُ الغَـوْر ، بالغُ الدَّلالة . وأحسَبُ أنّ شيخنا أبا حَيّـان التوحيدي قد بلغ من هذه اللوعة حَدّاً لَعبَتْ منه نفسُه ، فأحرقَ ما كتب ضَنّاً به على من ليس أهلَه .

قلتُ : لو كان لشيخنا أبي حيّان ، قدّسَ الله روحه ، أن يرى في التلفزيون أفواجَ النّاس التي تموتُ جوعاً ، في بلاد الله التي جَفّتْ أرضها وأمعاءُ أهلِها ، ورأى الى دهاقِنَةِ المال في بلاد الغال ، كيف يدلُقون الحليب في المجاري ، ويرمـون أصنافَ الفاكـهة في البَـراري ، ضَنّاً بها على مَنْ يحتاجُها ، و تَـخَلُّصاًمن فائض النعمة ، والتماساً لتوازُن العَرْض والطَلَب ، وحرصاً على غلاء

مكتبة الفكر الجديد

الأسعار ، لاستعاذَ باللهِ من جَزَعٍ ألَمَّ به ، واستغفَرَهُ من مرارةٍ ملأتْ نفسَه ؛ أو ربَّما جنَحَ به الجَزَعُ الى مصيرٍ أخطر ، ومآلٍ أنكر ، فأحرقَ نفسه مع كتبه على طريقةِ البوذيين .

قال المؤلّف :

واللهِ إنّها لَنُذُر القيامة ، وعلاماتُ الساعة ، ونحن نسألُ اللهَ حُسنَ العاقبة . هاتَ لنا شعراً يكون مُلْحَةَ الوداع ، فما عادت نفسي تحتملُ المزيد .

قلتُ : قال أبو العلاء :

ولو أنّي حُبيتُ الخُلْدَ فردا
لما آثَرْتُ في الخُلدِ انفرادا
فلا هطَلَتْ عليَّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

مكتبة الفكر الجديد

من رسالة عبد الحق البغدادي
الى صـــــديقه
أبي هاني عبد الرحمن الكاتب

- ١ -

عزيزي عبد الرحمن ؛

لم يجد عبد الحق نجيباً يحمل إليك رسالته الاولى المسمّاة «الاسبوع السابع من أيام عبد الحق البغدادي» ، والفصل الملحق بها بعنوان «ما وَعَتْه الذاكرة من أخبار عبد الحق البغدادي وصاحبه ابي علي بن الصبّاغ قبل الهجرة المباركة» والرسالة تقع في تسع وعشرين صفحة من القطع الصغير . لذلك فهو يكتب اليك رسالته الثانية ويرسلها عل ذمّة البريد .

مكتبة الفكر الجديد

- ٢ -

عبد الحق يحتسي القهوة على ارتفاع ٣٢ متراً من الأرض ، وعلى بُعد خمسة آلاف ميل من أحلامه ، وعلى مقربة - مبعدة أسبوع منها .

إنه لا يجد تفسيراً لهذا التداخل في الزمان والمكان . وهو إذْ يخلط بينهما ، لا يُحسّ بالحرج ، ولا بأحقِيَّة أحدهما على الآخر كلاهما مسافة ، وهو صريع مسافتين .

عبد الحق لا يكتب ما يكتب لنفسه إنما يكتبه لعبد الرحمن ، فهو يُحسُّ أنه لم يكلّم عبد الرحمن يوماً ، ولم يكشف له عن هواجسه ، ولم يتخطَّ حواجزه المتوتّرة حين التقاه في الماضي ؛ ولا يدري لماذا يحسّ أن عليه أن يقول لهذا الصديق شيئاً ، شيئاً آخرَ ، غيرَ الكلام .

عبد الرحمن ؛

إن صديقك يهذي . فهو يظنُّ أنه يستطيع أن يخرج من دائرة الكلام ويصافحك !

- ٣ -

كان يظن أنه - وللمرة الأُولى - تخلَّصَ من لغة الاستعارة ، والتوريات .

في الحق ، إنه كان رَضِيّاً ومنفتح النفس . وقد ترك هواجسَه تنساب على الورق على سجيَّتها ، دون شروط ولا ضوابط . ألغى الزمان والمكان واللغة المتشنِّجة والهويّات . وقد أحَسَّ بالفرح حين أعاد قراءتها . ولكن باغَتَه سؤال :

« أصحيح أنّ الإستعارات والتوريات هي مجرّدُ لعبةٍ بيانية لكسر السياق المُمَلّ ، وتهيئةِ الشعور لتوقعاتٍ جديدة ، أم أنّها إسقاطٌ لخوف إنساني داخلي من الإفصاح عن دواخل النفس ، واتّقاءٌ لمشاكل الحركة في الوجود ؟ » .

عبد الحق بدأ يقتنع بأنها ليست مجرّدَ لعبةٍ لغوية . وقادتْه هذه القناعة الى افتراضِ كونِ المُحَسِّنات البديعية عمليّةَ موازنةٍ لا شعورية لخوف داخلي ؛ عمليةَ ترميمٍ مسبَّق لانكساراتٍ متوقَّعة . إنها مُحَسِّناتٌ

مكتبة الفكر الجديد

حياتيّة تقلل من المخاوف ، وتمنحُ الإنسانَ جناحاً يبتعد به عن مواطن الخطر .

والمتَلَقّي إذ يستجيب لهذه الإستعارات والتّوريات ، ويحبّها ، فليس لكونها فنّاً مَحْضاً يتذوّقه ويستريحُ إليه ، إنّما لكونها تُفصِح أيضاً عن حاجته هو الى التَّقيَّة في بعض الأحيان .

إلامَ يقود هذا الإفتراض ؟

الى كوْن الخوف هو الحقيقة الأخيرة !

عبد الحق لم يفرح كثيراً بهذا الإستنتاج ، لأنه ليس جديداً عليه ، ولأنه يعرفه ويقتنع به . وقد كتب عنه كثيراً . وهو الآن يتذكّر قول زهير بن أبي سُلمى :

ما أرانا نقول ألاّ مُعارا أو مُعاداً من قولنا مكرورا

مكتبة الفكر الجديد

- ٤ -

أيُّ سجنٍ في أن يعيشَ الإنسانُ في اللحظة ، ولا يستطيع تجاوزها !

إن مجرّد التخمين ، يُسَربل الزمنَ بالهناء . وعبد الحق مسلوبٌ من هذه النعمة الآن . لذلك فهو هَشٌّ ، قابلٌ للإنكسار في أيّة لحظة ، لا يتوقع شيئاً على الإطلاق .

حتّى توطينُ النفس على مواجهة الإنكسار لم يعُدْ يهمّه كثيراً ؛ همُّه الوحيد أن ينتظر .

هل طال الإنتظار ؟

مكتبة الفكر الجديد

حملوه على مِحَفَّـة .
تجَمْهَـرَتْ عليه الوجوه .
كان أمامَ كل العيون ؛ وما كان في ذاكرة أحَـد .
أحَسَّ بأن التجربةَ كلَّها لا تسـتحقُّ معاناتَها .
ظلَّ مُنْكَبّاً على وجهه . مرّتْ على جسده ستُّ أيدٍ لستّين مرّة .
هنا ، كـما في كلّ مكان ؛ لا مـجالَ للهـمـوم الصـغيرة . دخل اللعبةَ ، صدَّق افتراضاتِهم ، ابتسـم لهم ، شكرهم ؛ وقام ليَدْخُلَ في التجربة من جديد .

مكتبة الفكر الجديد

- ٦ -

كان يقول عن أبناء قريته إنّهم يعيشون في علبة محدودة الحجم ، مقنّنة الزوايا . وكان يحسَب أنهم عندما يكونون في المدينة ، سيخرجون من عُلَبهم اللعينة ؛ ولكن صعقه العجب عندما التقاهم في شارع توتنغهام كورت رود في لندن ، ومقاهي مونپارناس في پاريس . فقد كانوا يحملون عُلَبَهم معهم ؛ يفتحونها ، ويجلسون فيها ، ويتكلّمون !

مكتبة الفكر الجديد

عـبد الرحمـــن . . .
عبد الحق يشـــتاق إليك .
إنْ شئتَ أن تكتبَ إليه ، فهــذا عنوانه :

عـــبد الحــق ،
باريس .

لن تضيعَ الرسالة ؛ فهو الغريب الوحيد في باريس .

مكتبة
الفكر
الجديد

مقابلة صحفيّة مع حرف الألف

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

قال لي عبد الحق يوماً :

إنني رأيتك تجمع حروفَ الأبجدية العربية ، وتنثرها على الورق . فتصلها وتفصلها ؛ وتمدّ الألفَ ، وتخطف الهاء ، وتسبل العينَ ، وتُرسل الحاء ، وتختلس الدالَ ، وتُقوّر الميم ؛ فأخذني العجب ، وثارت في نفسي رغبةٌ في الدخول الى عالم الحروف ، والتحدُّثِ إليها بشيءٍ من التفصيل . وقد تذكرتُ حديثَك عن هذا العالم الحروفي العجيب ، وتذكرتُ قولَ شيخنا محي الدين بن عربي :

« إعلم أيَّدنا الله وإيّاك ، أنّ الحروفَ أُمَّةٌ من الأُمم » .

فقلتُ مالي وقد نثر صاحبي هذه الحروفَ أمامي لا أسألُها عمّا في الخاطر ، ولا أكشف عمّا لديها من أسرار ؟ فالتقطتُ ورقةً مما كنتَ تخطُّ ، فإذا فيها بيتُ شعرٍ لمحمد سعيد الحَبّوبي :

عارِضِ الشمسَ جبيناً بجبين

لنرى أيَّكما أسنى سنا

مكتبة الفكر الجديد

فتذكرتُ أنّ (السّنى) تُكتَبُ ألِفُها مرّة مقصورةً ، ومرة ممدودة ؛

فرأيتُ أن أبدأ حديثي مع حرف الألف ، فأسألَها رأيَها في هذا الإختلاف ، فأخذتُ الورقةَ التي كتبْتَ فيها الألفَ بمختلف أنواع الخطوط ، وأجَلْتُ النظرَ فيها ، وقلت :

يا عروس الحروف ، وأُمَّ الأبجدية ، ومبتدأَ القاموس ، إنّا لنذكر من فضائلك شيئاً كثيراً ؛ فأنتِ أكثر الحروف استقامةً ، وفيك قال الشاعر :

ألِفُ الكتابة وهو بعض حروفها

لما استقام ، على الحروف تَقَدَّما

وأنتِ قَدُّ الغواني :

رَنَتْ إليَّ بعين الظبي ، والتفتتْ

بجِيدِهِ ، وثَنَتْ من قَدِّها ألِفا

مكتبة الفكر الجديد

ولِينُ الغصـون :

به ألِـفاتٌ كالغصـون وقدْ علا

عليها من الهَـمْزِ المُطِلّ حـمائمُ

ومثالُ اللطف :

وكأنَّ السُّـــقاةَ بين النـــدامى

ألِفـــاتٌ بين الســـطورِ قـــيامُ

وأنتِ قُطر الدائرة التي تُقاس إليها الحروف ، كما اقترح شيخُ الخطاطين ابنُ مُقْلة . وأولُ رقم في حساب (الجُمَّل) ، وأكثر الحروف وروداً في كتاب الله العزيز . ولنا وإيّاك – نحن أبناءَ العربية – شؤونٌ وشجون ، كما ليس لنا مع غيرك . فهل لك في حوار ننقله الى قرّاءٍ يحبّونك ويجهلون عنك الكثير ؟

فاهتزّت الألف زَهواً ، وقالت :

مرحباً بك يا عبد الحق البغدادي ، أأنتَ من بغداد حقّاً ؟

مكتبة الفكر الجديد

قلتُ : نعم .

قالت : ألمْ تقرأ ما كتبه عني أسلافُك ؟

قلت : قرأتُ ، ولكن الناس في هذا الزمان مُثْقَلون بأعباء الحياة ، وليس كلُّهم يقرأ . وأنا أريد أن أُوجِزَ لهم حياتَك لعلهم ينتفعون بها .

قالت : وهل قابلتَ أحداً من الحروف قبلي ؟

قلتُ : لا ؛ ولعلني أولُ إنسان يقابل حرفاً و يُجري معه مقابلةً صحفية ؛ وقد رأيتُ أن أبدأ بك .

قالت : تفضّل !

قلت : تفضّلي أنتِ ، وقدّمي نفسَكِ للقرّاء .

فاستقامت على هيأة ألف (المُحقَّق) ، وقالت :

الحمد لله الذي اختارني لاسمه ابتداءً ، وخصّني برُبْع لفظه الجليل ، وشرّفني بأول حرف أنزله على رسوله : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ، وكرّمني بافتتاح أحدى وأربعين سورةً من كتابه الكريم : (الم ، الر ، اقرأ ، الحمد ، الخ .) ، وفضّلني على بقية الحروف بأنْ جعلني أوّلَها ، واوردني (٤٥٨٢٢)

مكتبة الفكر الجديد

مـرّة في القــرآن ، وجـعلني أوّلَ حـرفَ لأوّل نبي من أنبـيـائه الكرام (آدم) ، وأوّلَ حـرف في دينه القـويم (الإسـلام) ، وأوّلَ حرف في ما دعـا إليـه كلُّ أنبـيـائه ورُسُله (الإيمان) ، وأوّلَ حـرفٍ في أقرب الناس اليك يا عــبــد الحقّ (الأب ، الأم ، الأخ ، الأخت ، الإبن) ؛ وجعلني زميلةَ الكُنى ، ورفيقةَ الألقاب ، فقالوا : أبو العلاء ، وابن الهيثم ، والجاحظ . ووضعني أوّلَ حرف في (أفعل التفضيل) ، فـقالوا : أحسن وأصدق وأعلى وأقوى إلخ . وخلّصَني

من مشاكل الإعجام ؛ وبيَ عرَّفَ ما نكر ، ورسم ما أمـر ، وجعلني أُذكَـر عند الإعـجاب ، فيـقـال (إيه) ، وعند التـوجُّع ، فيـقال (آه) ، وعـند التصديق ، فـيـقال (إي) .

وأنا حرف أحمي ما سبقني من الحروف فأكونَ سَدّاً لهـا ؛ فـالكلمـة التي تنتهـي بي لا تختلط بما يليـهـا ؛ ولذلك فـأنا قليلة الفـضول ، لا أتدخّل في الحـروف التي تلحقني ، ولا أرتبط بها .

مكتبة الفكر الجديد

وأنا حرف لا تلحقني اللُكنة ، ويسهل لفظي على العربي والأعجمي . كما لا يلحقني الإدغام ، ولا يُلحَنُ بي . قال الشاعر :

لحنُ الشريفِ محطَّةٌ من قدرِهِ

فتراه يسقط في لحاظ الأعين

قلتُ : ولكنكِ تُحذَفين في الترخيم ، فيقال في (يا ليلى) يا ليلَ .

قالت : هذا شأنُ أغلب الحروف . أما يُقال في (يا حارث) يا حارِ ، وفي (يا صاحب) يا صاحِ ؟ ولكُم في حذفي مذاهب لا يَدَ لي فيها . أما قَرأتَ قول صاحبكم ابن وثيق الأندلسي في حذف الألف : « إعلمْ أنّ هذا الباب كثيرُ الإضطراب ، متشعّب ، لا يرجع الى قياس فيُحصَر » .

قلتُ ألا تَرَيْنَ من الغريب ، وأنتِ على هذا القدْر من الهمّة والنشاط ، أن تُتَّهمي بالسكون ، الى حدٍّ يجعل مثلَ ابي العلاء يقول فيك :

مكتبة الفكر الجديد

فـيا الِفَ اللـفظِ لا تأمـلي

حَـراكاً ، فما لَكِ إلاّ السـكونُ

فأخذَتْ نَفَساً طويلاً ، وقالت :

واللهِ لولا أنّه أبو العلاء لاتَّهمْتُه بالغفلة . ولا أدري كيف فاتَهُ وهو العبقري ، فاعتبَرَني ساكنةً لا أملَ في حَراكها ؛ وكيف جاز عليه تخريج النحويين . أيَّ حركةٍ تراه يقصد ، وما معنى هذا الهُجْـر ؟!

قلت : أبو العـلاء أشفَقُ من أن يقولَ هُجْراً ، وأعلمُ من أن يرميَ القولَ على عِلاّته .

قالت : اللهمَّ نعم ! ولكن أما رأيت ؟

قلت : لعلّه يقصـد الحركاتِ القصـيرةَ المعروفةَ بالفتـحة والضـمّة والكسرة .

قالت : إذا قصدَ هذا فالأمر مختلف ؛ فأنا لا أُطيق حـملَ هذه الحـركـات بالفـعل ، فـهي تنزلق من على كتـفي ، وينغلق صوتُهـا . ولكنّ ذلك لا يعني سكوني

المميت . فأنا أتحرّك الى مدىً أبعدَ مما تدفعني إليه هذه الحركات الصغيرة . ألا تقولون : سال ومال وقام ونام ، وتستطيعون أن تمدّوا صوتي الى آخر النَّفَس ، ولا تستطيعون أن تمدّوا صوت الباء والقاف والعين ؟

والأخيرة يمدّها إخوانكم المصريّون في الغناء ، فتبدو كمن عَلِقَتْ في بلعومِهِ شوكةٌ يريد قذْفَها . ولعلّك تذكر كيف يلفظها صاحبكم عبد الوهاب حين يغني :

وتعطّلتْ لغةُ الكلام فخاطبَتْ

عينيَّ في لغة الهوى عيناكِ

أقول ، فهذا المدُّ في نام وراح وصار ، أليس حركةً ؟ أليس هو تجاوزاً للموقع الى ما هو أبعدُ منه ؟ أليس هو انتقالاً من موقع الى آخر ؟

قلتُ : بل هو امتدادٌ من الموقع نفسه .

قالت : وهذا الإمتداد كما تُسَمّيه ، أليس بحركة ؟ إنكم يا عبد الحق تتأوّلون وتعاندون ، وتريدون أن

مكتبة الفكر الجديد

تُخضِعوا كلَّ شيءٍ عندكم للقياس ، باعتباره أحدَ مصادر اليقين ، ولكنكم تأنَفون من التخيُّل ، وهو في بعض الأحيان مفتاحٌ لأجوبة لا يُدركها علمُ المنطق عندكم . ألم تسمع ما قال شاعرُكم :

تُخطي النفوسُ مع العِيان

وقد تُصيبُ مع المَظِنّه

بل إنكم لا تقتنعون حتى بالمنطق أحياناً ، فتعتبرون موقعَ الهمزة في فعل الأمر من الثلاثي ، همزةَ وصل ؟ ولا فرقَ عندكم إنْ وقعَتْ في أوّل الكلام ، أو في دَرْجه ؛ مع أن صوتَها يظهر في الحالة الاولى مُحقَّقاً ، ويُوصل في الثانية .

نعم ، إنها توصل إذا كان هناك ما يسبقها ، كقولك : غلطتَ فاسكتْ ، وسمعتَ فافهم ؛ وقولك : كتاب الحساب ، ودفتر الأشعار . ولكن ما وجْهُ اعتبارها همزةَ وصلٍ إذا جاءت في اوّل الكلام ؛ كقولك : (إقرأ تستفدْ) ، (إسمعْ قولَ أبيك) ، (الكتاب مفيد) ؛ ألا ترى أنها تأخذ هنا حَيِّزَها

مكتبة الفكر الجديد

الصوتي الكامل ، فتنطلق من الحنجرة مجهورةً ؛ فما هذا التَّعَنُّت ؟!

ورأيتُ أنّ للألف حقّاً في ما تقول ، ولم أدرِ كيف أردّ ، فملتُ بالحديث الى جهة أخرى ، وقلت :

ولكننا نحار في أمرك ايّتها الألف ، فلكِ في شكلك أشكال ، وفي معناك أحوال ؛ ونحن نضيع بينهما كما لا نضيع في جملة الحروف .

ففي الشكل نراك تتبادلين موقعَ الهمزة ، وترفعينها على رأسك أحياناً ، وأحياناً ترمين بها بعيداً . ونراك تُحذَفين ويُشار إليك بألِف قصيرة خارجَ هيكل الكلمة ، وأحياناً لا يُشار حتى بهذه العلامة ، ومرّات تُشبِهين شكلَ الياء .

وفي معناك تنقلبين مرة واواً ومرة ياءً ؛ ونحن نلهث وراءك ولا نكاد نعلم حقيقتك علمَ اليقين . حتى لكأنك تشبهين الإنسان الذي قال فيه الشاعر :

وتَحسَب أنّك جرمٌ صغيرٌ

وفيك انطوى العالَمُ الأكبرُ

مكتبة الفكر الجديد

ورأيتُ الألفَ تهيج ، وهَمَتْ بمقاطعتي أكثر من مرة ، ولكنني حين ألقيت هذا البيت ، رأيتها تبتسم وقد تملّكها الزهو ؛ فقالت بأمومة وبلهجة المعلّم :

إسمع يا عبد الحق ، لقد ازدحمت في رأسك المسائل ، واختلطت أصولها بفروعها ، وأنا أنصحك بالاستفادة من فكرة ديكارت في امتحان المسائل : جزّئها اولاً ، وابدأ بأبسطها .

قلت : حسناً ؛ لنبدأ أولاً بسؤال أرجو ألاّ تعتبريه تدخّلاً في شؤون العائلة ، بقدر ما هو تفسيرٌ لحالة قلقة بينك وبين أختك الهمزة . فأيُكما الكبرى ، ولماذا هذا الالتباس بينك وبينها ؟

قالت : أيّ التباس ؟

قلت : سمعنا ابن جنّي يقول :

« كل حرف سمّيتَه ، ففي أول حروف تَسمِيَته لفظُه بعينه . ألا ترى أنك إذا قلتَ جيم فأول حروف الحرف (جيم) ، وأذا قلت دال فأول حروف الحرف (دال) ، وإذا قلت حاء فأول حروف الحرف (حاء) ،

وإذاقلتَ ألِف فأول الحروف التي نطقتَ بها (همزة)» . كيف تفسرين قولَ ابن جنّي هذا ؟

قالت : الألف هو أول حروف الأبجدية الساميّة ، ويمثّل الصوت الصامت (الهمزة) ، ولكنْ حدث أن استعير لتمثيل الفتحة الطويلة (الألف) في الكتابة النَّبَطيّة المتأخرة التي هي أحد فروع الكتابة الآراميّة التي انحدرتْ منها الكتابة العربية .

قلت : ألا ترَيْنَ أن هذه الإستعارة قد طالت وأصبحت حيازة ؟

قالت : بلى ! وهذا من قبيل (البيت لساكنه) !

قلت : وأين نضع الهمزة ؟

قالت : إنها تعيش معي الآن . ولا أكتمك أننا لسنا مرتاحتين لاقتسام البيت .

قلت : وهل من اقتراح ؟

قالت : أنا أقبل أن اترك لها مكاني في أول الأبجدية ، وأتَّخذَ لي سكناً مستقلاً في آخرها ، مع

مكتبة الفكر الجديد

الواو والياء ، باعتباري حرفاً صائتاً ، أوفتحةً طويلة ، أو مَدّةً ساكنة ، كما يطيب لنحوييكم أن يصِفوني .

قلت : على أساس أنكِ لامُ ألِف ؟

قالت : هو ذاك . فقد قال ابنُ جنّي أيضاً :

« إن واضعَ حروف الهجاء لمّا لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مَدّة ساكنة ، لأن الساكن لا يمكن الإبتداء به ، دَعَمها باللام قبلَها متحركةً ليُمكنَ الإبتداء بها » .

قلت : ولكن حروف الأبجدية ستصير تسعةً وعشرين حرفا .

قالت : هي تسعة وعشرون . فأصحابكم يروون عن الصحابي الكريم أبي ذرّ الغفاري أنه قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، كلُّ نبيٍّ بِمَ يُرسَل ؟ قال : بكتابٍ مُنْزَل . قلت : أيَّ كتابٍ أنزله على آدم ؟ قال : ا ب ت ث إلخ . قلت : كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون حرفاً . قلت : يا رسولَ الله عدَدْتُ ثمانيةً وعشرين حرفاً .

مكتبة الفكر الجديد

فغضب حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا أبا ذرّ ، والذي بعثني بالحق نبيّاً ما أنزل الله على آدمَ ألا تسعةً وعشرين حرفاً .

فقلت : يا رسول الله فيها لام ألف . فقال : ولام ألف حرف واحد ، أنزله الله على آدم في صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف مَلَك» .

قلت : وماذا نقول في من يَعُدُّ الحروفَ ثمانيةً وعشرين ، ويجعلها على منازل القمر ؟

قالت : ألأجل أن تبقى الحروف على منازل القمر تريد إلغاء أكثر الحروف دَوَراناً على الألسن ؟

أيَّ شجنٍ أثَرْتَ بي يا عبد الحق ! والله إني لأحمل عليكم أيها الناس غيظاً أُحاكمكم فيه الى الله على ما فعلتم بي ، وأسأله بحقّ كل كراماتي أن يحاسبكم عليه .

قلت : مهلاً أيتها الألف العزيزة ، فنحن لا ننسى كراماتِك ، ولا نُنكر فضلَك ، ونسألك الإقتصادَ في التَّبَجُّح ، والوقوفَ عند دائرة الحق . فقد زعمتِ أنك

مكتبة الفكر الجديد

أكثرُ الحروف دَوَراناً على الألسن ؛ وهذا حق لا يُلغي كونَنا نستطيع أن نستغنيَ عنك أحياناً ، إ ذا أحسَنّا معرفةَ لغتنا . وقد قرأتُ أن قوماً في حضرة الإمام علي ، تذاكروا أكثرَ الحروف دوراناً على الألسن ، فقيل (الألف) ، فقال الإمام خطبةً نَزَعَكِ من حروفها ؛ وأنا أذكرك ببعضها :

« حمدتُ وعظَمتُ من عظُمتْ مِنَنُه ، وسبَغَتْ نعمتُه ، وسبقت غضبَه رحمتُه ، وتمّت كلمته ، ونفَذَتْ مشيئتُه ، وبلغَتْ حُجَتُه ، وعدَلَتْ قضيّتُه . . إلخ » .

ونحن لا نريد أن ندخل معك هذا المدخل ، فهو لا شكَّ يُثقل عليك كما يثقل على القرّاء ؛ ولكننا أردنا أن نقف على حقيقتك . وأنا موافق معك على بحث الموضوع على مبدأ ديكارت . فلماذا تُمَدّين في (عصا) وتُقصَرين في (ضحى) ؟

فتنفّست الألف ، وقالت :

صبْرٌ جميلٌ والله المستعان . أفبعدَ كل مناظرات

مكتبة الفكر الجديد

أبي العباس ثعلب والمبَرِّد ، ومدرستَيْ الكوفة والبصرة ، تأتي لتسألني هذا السؤال ؟!

أما علمتَ أن هذا اختلاف لا شأن لي به ، وإنما هو شأن نحويكم الذين أوغلوا في العِلّة والمعلول ، وضاعوا وضيّعوكم ؟

ألم تقرأ أن أبا علي الفارسي ، وهو عَلَم من أعلام لغتكم عاش في القرن الرابع الهجري ، كان يكتب :

رمى مصطفى ثمّ ارتمى على الأرض

هكذا :

رما مصطفا ثم ارتما على الأرض

ولكن لم يأبَهْ به أحد . إذْ قال الكوفيّون إنني أذا وقعتُ ثالثةً في كلمة أولها مكسور مثل (العِدى) ، أو أولها مضموم مثل (الدُّجى و الضُّحى) أُرسَم ياءً . وأن البصريين لا يوافقونهم على ذلك ، فيكتبون الضحى (الضحا) . فاتَّقِ الله يا عبد الحق ، واعلم أنني إن دخلتُ بك في هذا البابِ فلن تخرج منه أبداً . وهو بعد كل اعتبار من وضعكم لا من طبيعتي .

مكتبة الفكر الجديد

قلت : أجْـرُكِ على الله أيّتهـا الألف ، فـأنت في حياتنا مثل الشـاة والنخلة ، لا شأن للأُولى فيما تمنحنا من الجبن واللبن ، ولا شأن للثانية في ما نأخذ منها من الدبس والحصير ، وأنما نحن نتصرّف بنِعَم الله كما أتاح لنا ، وأنتِ من نعَم الله علينا ، ولنا فيك حق مثلما لنا فيهما . ولكنني يا سيدتي في موقف يحسدني عليه الآخرون ، فما كلّم أحدٌ من أبناء جنسي حرفاً وسأله عن حقيقته وتصرُّف أحواله . ولولا أن صاحبي الخطاط أتاح لي هذه الفرصة لما لججتُ بالسؤال ، ولكنها فرصة إذا أفلتت لن تعود ، كما قال الشاعر :

كم من مُضَيِّع فرصةٍ قد أمكنت

لغدٍ ، وليس له غدٌ بمُواتِ

قالت : منذ متى صرتم تنتهزون الفرص ، وتهتمّون بنصائح الشعراء ؟

قلت : لنؤجّل هذه المناورة قليلاً ، ولنبقَ في موضوعنا ، ولنصرف النظر عن حذفك في بعض

الكلمات ، ونسألك لماذا تُزادين في كلمات أخرى دونما حاجة ؟

قالت : يا عزيزي . احمدوا الله على كون لغتكم العربية مختزَلة ، وليس في كلماتها فائض من الحروف كما في غيرها من اللغات . وإنني أرجو أن يكون لك علْم ببعض لغات الإفرنج مثلاً ، لترى كم حرفاً زائداً على اللفظ في كلماتها . وأنا أيضاً أحمد الله على أنني لا أزاد في غير معنىً إلاّ في كلمات لا تبلغ عدد أصابع يدك اليمنى . وأنا أوجِزها لك هنا :

أُزاد في (منة) فتُكتب (مائة) . وقد وُضِعتُ هنا منذ أن كانت كتابتكم بلا نقاط ؛ لكي يميّزوا بين (منة) و (مَيّة) و (منه) . وقد انتفت الحاجة العملية لهذه الزيادة منذ أكثر من ألف سنة ، وما زلتم متمسكين بها !

وأزاد بعد واو الجماعة ، مثل (قالوا) . وأنا هنا أتلو الواوَ التي أُسند إليها الفعل ، لكي أدُلَّ على أنها(واو الجماعة) لا (واو الجمع) التي تُحذف بالإضافة .

مكتبة الفكر الجديد

فواو الجماعة ، مثل : تابِعوا محمّداً .

و واو الجمع المحذوفة بالإضافة ، مثل : تابِعو محمّدٍ .

وهذا واحد من تفسيرات قومكم ؛ ولسيبويه والخليل وابن درستويه والسيوطي ، وآخرين غيرهم ، آراء أخرى إذا انغمرتَ فيها لن تخرج سالماً . وأنا لا أخوّفك من هذا ولا أستخفُّ به ، ولكنني أقول لك إن هذا الباب مفتوح على آراء واجتهادات لا حصرَ لها . فخذْ ما تيسّر ، واقنع بالقليل ، وكن كما قال عبد الله بن طاهر لبعض مادحيه :

فخذ القليلَ وكنْ كأنك لم تَسَلْ

ونكون نحن كأننا لم نفعلِ

قلت : شكراً لك على لطفك ونصيحتك ؛ ففي ما تفضّلتِ به كفاية لجمهور القرّاء ، ومن أراد منهم الإستزادة فيمكنه مراجعة الكتب اللغوية المتخصصة . ولنتحدث الآن قليلاً عن السيّدة أُختك .

قالت : الهمـــزة ؟

مكتبة الفكر الجديد

قلت : نعم .

قالت : نحن أُختان متحابّتان . حشرتمونا في سرير واحد منذ أن كنا طفلتين . وقد كبرتْ لغتكم ، وكبرنا معها ، وتجاوزنا سنّ الشباب ، وما زلنا في نفس السرير .

قلت : وهل ضاق بكما السرير ؟

قالت : شاعركم يقول :

لَعمرُك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكنّ أخلاق الرجال تضيقُ

وهذا حق . فنحن مختلفتا المزاج والطبيعة ، والتزاماتنا وهواياتنا مختلفة تماماً ؛ فأنا حرف صائت ، وهي حرف صامت ، وأنا من حروف العلّة ، وهي حرف صحيح معافى ؛ وأنا حرف أليف ، وهي حرف متمرّد أحياناً .

ثم إنها حرف انتهازي - كما تقولون - وأنا حرف يميني . وإن كان لا يعجبك هذا !

مكتبة الفكر الجديد

قلت : مهلاً يا سيدتي الجميلة ، لقد أزهقتْنا السياسة في كل شيء ؛ وكنا نظن أننا بمأمَنٍ عن تسييس الحروف ، فمن أين لكِ هذا الإطلاع في السياسة ؟ وهل للحروف أحزاب مثلما لنا ؟ ومن أيّ حزب أنتِ إذا سمختِ ؟ وأعِدُكِ بأن يبقى الحديث بيننا سرّاً ، فالمجالس بالأمانات .

فأغرقَتِ الألفُ في الضحك حتى تكوّرتْ على نفسها كألف الخط الديواني ، وقالت :

ولماذا أنت مصعوق الى هذا الحدّ ، وتخاف من ذِكر الأحزاب ؟ نحن كلنا مُتحزّبون ، وأحزابنا علنيّة ، وليس بيننا حزب سرّي ، كما أننا لانحتاج الى إجازة .

قلت : يا ليتني كنت حرفاً !

قالت : إذن لأفسدْتَ علينا سلامَنا .

قلت : يا سيّدتي هذه مقابلة لا مثيل لها ، وأنا أُريد منكِ حديثاً مفصّلاً عن هذه الأحزاب الحروفية ونشاطاتها ، عندما يسمح لك الوقت . ولكن نوّرينا

مكتبة الفكر الجديد

الآن عن موقعك الحزبي ، ولماذا لا تتحرّجين من كونك يمينية ، وكون أُختك انتهازية ؟!

قالت : هذا من اصطلاحات صاحبك الخطاط ، وأنا موافقة عليها . فأنا يمينية لأنني لا أرتبط بأيٍّ من الحروف إلاّ من جهتي اليُمنى ؛ وأُختي ترتبط باليمين واليسار ، (كالهمزة على كرسي) . ولكنَّ لها حالاتٍ تتمرّد فيها على اليمين واليسار ، وتبقي مستقلّة ، وهذا من أمراض الطفولة ! كالهمزة في كلمة (سماء) .

قلت : أنت أكثر وضوحاً في موقفك السياسي ، وإن كنتُ أختلف معك في الرأي ، وأكره تذبذُبَ أُختك الهمـــزة .

قالت : لا تنسَ أنكم انتم الذين حشرتمونا في هذا المأزق .

قلت : إذا تجاوزنا المزاج والعواطف ، وعُدنا الى طبيعة كل منكما نراك حرفاً لَيِّناً صائتاً ، وأختَك الهمزة حرفاً يابساً صامتاً شديداً مجهوراً ، يخرج من أقصى الحلْق .

قالت : هذا رأيُ سيبويهِ بأختي الهمزة ، ولأبناء

مكتبة الفكر الجديد

جيلكم رأيٌ آخر ، يقول إنها (حرف حنجري انفجاري) ويسمّونها (الوقفة الحنجرية) .

قلت : لقد جعلها سيبويهِ اوّلَ الأصوات .

قالت : وجعلها الخليل آخرَها ، ورسمها على صورة رأس العين ، وأراد لها بيتاً مستقلاً ، فلم تصغوا إليه .

قلت : كيف ؟

قالت : أراد الخليل أن تستقلَّ بشكل يناسبها ، فرسمها على صورة رأس العين ، وودَّ لو تثبت على هيأة ، ولكنكم اهملتموها في الكتابة منذ ذلك الوقت ، حتى أن بعضكم وضعها نقطةً صفراء حيث جاء لفظُها ، ولم تعترفوا بها رغم كونها ملءَ أفواهكم ، ولم تمنحوها جنسيّتَها كحرف ، ولم تعترفوا بكونها مواطنة عربية بالولادة . ولو فعلتم ذلك ، وأفردتم لها رسماً خاصاً بها كبقية الحروف ، تظهر عليه علامات الإعراب ، لأعفَيتم أجيالكم من مشاكل رسمها .

قلت : وهل كان للخليل أن يفعل ذلك ؟

قالت : ولِمَ لا ؟ لقد كانت كتابتكم في أول

عهـــدها طـريةَ العود ، وحضارتُكم في بداية زهوها ، وكان ممكناً أن تأخذ رسماً مستقلاً يألَفُه الناس كما ألِفوا النقاطَ وحركاتِ الإعراب ، وهي مما ابتدع في نفس المرحلة .

قات : ألا يمكن معالجة ذلك الآن ؟

قالت : وكيف ، وأنتم دُوَل ؟ وما يقترحه الخطاطون ينقضه علماء اللغة ، وما يُقِرُّه اللغويون ينسفه الصحفيون ، وما يريده المُربّون يضيع في الحلقات الدراسية ، ودهاليز الجامعة العربية . وإذا تصدّى أحدُكم للتيسير اتُّهِمَ بهدم التراث ، وتشويه الثقافة العربية !

قلت : وما رأي أُختك الهمزة في كل ذلك ؛ ولماذا لا تشـــاركنا هذا الحـوار ؟

قالت : هي في الحمّام .

قلتُ : في الحمّام ؟

قالت : نعم في الحمّام ، تزيل عنها غبار فوضاكم .

قلتُ : ولكن هذه مسألة تاريخية .

قالت : التاريخ كان أرأف ، وأصدق حسّاً . أمامي

مكتبة الفكر الجديد

الآن كتاب حديث في تعليم الإملاء ، يضع للهمزة خمسين حالة كتابية : الهمزة في أول الكلمة ، الهمزة في آخرها ، في وسطها ، إذا سبقها كذا ، إذا لحقها كذا ، إذا وقعت . . . لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، أهي حرف أم أبجدية ؟!

أيمكن أن تكون شروط حرف واحد أكثر من ضعف مجموع حروف الأبجدية ؟!

قلتُ : ولكن نحن المتورطون بهذه الفوضى .

قالت : ونحن ؟ ألا تثيرون كرهَ الناس لنا بما تفعلون ؟

قلتُ : في الإعتبار الأخير ، يبقى هذا دليل حيويّة ، وعلوّ همّة لك ولأختك ؛ ألم يبلغك ما قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدر الكرام المكارم

قالت : أنتم تجرحون وتداوون !

قلتُ : ذلك خيرٌ من أن نجرح ولا نداوي . وقد كان بودي أن أقضي وقتي كله معك يا عروس الحروف ، ولكن صاحبي الخطاط سيعود الآن ، وعليّ أن أختم هذه المقابلة النادرة . ولكنني قبل ذلك أودّ أن تدبّري

مكتبة الفكر الجديد

لي لقاء خاصاً بأختك الهمزة ، وتختمي هذا اللقاء بكلمة توجهينها ألى القرّاء .

قالت : أدعوهم إلى الإلحاح على الكتّاب بإيجاد مخرج لأختي الهمزة ، وأقول للغويّيكم :

أعيدوا النظر في همزة الوصل !

باريس/ ١٩٨٦

مكتبة الفكر الجديد

خاتمـــــــة

عبد الحق البغدادي
ومشـكلة الحــرية

وبعــد ؛

فهذا هو عبد الحق البغدادي ، الصوت الأبعد قراراً ، والوجه الأكثر صفاءً للحرية اللانبة .

عندما فـاجأتني الحرية في أول يوم استوطنتُ فيه باريس ، أربكتني ، لم أكن أصـدّق بهـا ، وخِـفتُ أن تُفلتَ إغراءاتها إن أنا أخضعتها لمقاييسي ، ووضعتها في أساليبي التي نمتْ في ظروف عقلانية محسوبة كنت أتسلل منها أحياناً عن طريق قصائد مرحة لا أجرؤ على نشرها ، لئلا تثلم البناء الجاد الذي شيدته لنفسي منذ بدأتُ كتابة الشعر .

مكتبة الفكر الجديد

حالة الحرية التي وجدتني فيها ، كانت مسربلة بالشعر ، وكان صعباً عليّ أن أقهرها بما درجتُ عليه ، كما كان صعباً عليّ أن أتخلى عمّا ألفتُه . كان وعيي بهذه الحالة حاداً وباهر الوضوح .

بهذا الوعي ، تم الإتفاق بيني وبين نفسي على أن يتولى عبد الحق التعامل مع المزاج الجديد بأقصى درجة من الحرية ؛ في اللغة والأسلوب والموضوع والتنسيق .

تنسيق ؟!

كلا ! لقد ألغينا التنسيق من أول لحظة ، واتفقنا على القول المباشر الحرّ من كل الأطر التي تهدد براءة الرؤية .

وعلى هذا الأساس جاءت أيام عبد الحق خليطاً من الشعر والنثر والتأملات والمراجعات الجارية على سياق واحد ، هو الحرية .

وكان الضمان الوحيد لهذه الحرية هو أن يكون ما يقوله عبد الحق لي وحدي ، ولن ينشر .

مكتبة الفكر الجديد

وهكذا جاءت القصائد بسيطة البناء ، بعيدة عن الضوابط التي كنت ألزم بها نفسي فيما سبق . وجاءت أيامه بهذا الخليط الذي لا أدري بماذا أسميه . وقد طاب لي هذا الوضع كما طاب لعبد الحق الذي جرّ عنانه إلى حيث شاء!

خلال اثني عشر عاماً من هذه الرفقة ، صار عبد الحق صديقاً حميماً ، وأخاً روحياً ؛ صرتُ أحبه ، وأتحدث عنه بزهو ، وأرقب عمله بغبطة ؛ وصار مستحيلاً عليّ أن أتصور عدم وجوده ، كياناً وبُعداً روحياً ، لأنه كان يعلن عن هذا الوجود بشكل دائم ومثير .

وجاء يوم أقمتُ فيه معرضاً حفلتْ لوحاته بأشعار كتبتها باسمي ؛ وإذا بي أتبيّن ، بعد أشهر ، أنني أكتب بأسلوب عبد الحق ، ببساطته وحيويته وحريته !

عندما انتبهتُ إلى هذه الحقيقة ، حدثت الصدمة المذهلة ؛ فقد انسحب عبد الحق من دائرتي فجأة ، وأبقى لي أوراقه .

مكتبة الفكر الجديد

عندما كنت أحكي لابنتي ريا عن عبد الحق ، كما لو كان شخصاً ثالثاً ، وأفرح بما يجيء به ، وأناقش آراءه وأفكاره . كانت تبتسم ، وتقول : بابا ، كأنك تتحدث عن شخص ثالث ، أنسيت أنك هو ! أتعيد قصة بگماليون ؟ .

أفكنتُ إياه حقاً ؟! يصعب عليّ تصديق ذلك ، فقد كان وجوداً آخر ، وجوداً ملأ وجودي بالحقيقة والجرأة والبساطة . لقد مهّد لي الطريق ، وخلصني من عقدة (الكمال) التي كنت أطمح إليها ، وعلمني ألا أقهر أيّة رغبة فنية ، وألاّ أحجب أي وميض يشعّ في زوايا الذهن .

وكانت هذه الإنتباهة الموجعة هي لحظة الوداع الأخير مع عبد الحق البغدادي الذي لم يُبق لي غير هذه الأوراق ، ولوعةً يشهد الله أنها حقيقية .

محمد سعيد الصكار

باريس ١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

المحتـــــــوى

■ الأسبوع السابع من أيام عبد الحق البغدادي

الذكـــرى	٧
غربـــة	٨
خـــوف	١٠
أمتـــعة	١١
مغالطة	١٣
البـــاب	١٤
تطفـــل	١٦
الجـــرح	١٨
معـــادلة	٢٠
رغـــبة	٢١
ســـرقة	٢٣
الأســـئلة	٢٦

مكتبة الفكر الجديد

■ تأملات عبد الحق البغدادي ٢٧
■ ما وعته الذاكرة من أخبار
عبد الحق البغدادي وصاحبه أبي علي بن الصبّاغ قبل
الهجرة المباركة ٣٧
قطيعة ٣٩
مستويات ٤٠
عصفور ٤١
ليلة ٤٢
مسافة ٤٣
صياد ٤٤
تداخل ٤٥
موت ٤٧
ماتبقّى ٤٨
■ كوابيس عبد الحق البغدادي
محنة شهرزاد ٥٣
قال الراوي ٥٤
قواعد الملك ٥٥
دعاء عبد الحق البغدادي في ليلة القدر ٥٧

مكتبة الفكر الجديد

■ مراسلات عبد الحق البغدادي
بطاقة إلى مالك بن الرَّيْب ٦٣
بطاقة إلى أبي العلاء المعري ٦٤
بطاقة إلى أبي الطيّب المتنبي ٦٥
بطاقة إلى أبي بكر بن العلاف ٦٦
بطاقة إلى الجواهري ٦٧
رسالة إلى الجاحظ ٦٨
رسالة إلى أبي حيّان التوحيدي ٧٠
■ من رسالة عبد الحق البغدادي إلى صديقه
أبي هاني عبد الرحمن الكاتب ٧٤
■ مقابلة صحفية مع حرف الألف ٨٢
■ خاتمة «عبد الحق ومشكلة الحريّة» ١١٧

مكتبة الفكر الجديد

عندما كنت أحكي لابنتي ريا عن عبد الحق ، كما لو كان شخصاً ثالثاً ، وأفرح بما يجيء به ، وأناقش آراءه وأفكاره ، كانت تبتسم ، وتقول : بابا ، كأنك تتحدث عن شخص ثالث ، أنسيت أنك هو ! أتعيد قصة بكماليون ؟ .

أفكنتُ إياه حقاً ؟! يصعب عليّ تصديق ذلك ، فقد كان وجوداً آخر ، وجوداً ملأ وجودي بالحقيقة والجرأة والبساطة . لقد مهّد لي الطريق ، وخلصني من عقدة (الكمال) التي كنت أطمح إليها ، وعلمني ألا أقهر أية رغبة فنية ، وألاّ أحجب أي وميض يشعّ في زوايا الذهن .

وكانت هذه الإنتباهة الموجعة هي لحظة الوداع الأخير مع عبد الحق البغدادي الذي لم يُبقِ لي غير هذه الأوراق ، ولوعةً يشهد الله أنها حقيقية .

محمد سعيد الصكار

دار المدى للثقافة والنشر

مكتبة الفكر الجديد